

الجمعة 11 رمضان 1442 الموافق 23 أبريل 2021

من إعداد الإمام : نجيم أوحادوش

## الصيام وتربية الأولاد

أيها المسلمون:

ما أسرع مرور الليالي والأيام، وما أعجل انقضاء الأوقات وذهاب الساعات، بالأمس القريب دخل شهر رمضان المبارك، وكان المسلمون في شوق عظيم لبلوغه، وكانت نفوسهم في لهفة شديدة لإدراكه، ثم ها هو اليوم قد مضى ثلثه الأول على عجل، نعم أيها الأحباب، هذه أيام العتق تمضي متسارعة، والليالي تذهب متتابعة، والأعمار تنقضي بانقضاء الأنفاس، وكل مخلوق سيفنى طال الزمان أم قصر، وهذا شهر الرحمة والغفران يوشك أن يقول وداعاً، ولعل أحداً لا يلقاه بعد عامه هذا، ألا فلنصم صيام مودع ولنُصَل صلاة مودع، لنركع خاشعين خاضعين، ولنسجد باكين مخبتين، ولنقف أمام الله داعين منيبين متذللين، ولنعلم أن الله عتقنا من النار وذلك كل ليلة، ووالله لا يدري أحداً متى يكون عتيقاً لله؟ أفي أول الشهر أم في وسطه أم في آخره، فالصبر الصبر، ولنجاهد النفوس على الطاعة لننال هداية المولى سبحانه، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69)

معاصر الصائمين:

اتفق فقهاء الإسلام على أن من شروط وجوب الصيام: البلوغ، ويحصل بلوغ الذكر والأنثى بواحدة من أمور ثلاثة: - أحدها: إنزال المني باحتلام أو غيره. - الثاني: إنبات شعر العانة، وهو الشعر الخشن ينبت حول القبل. - الثالث: بلوغ تمام خمس عشرة سنة. وتخص الأنثى بأمر رابع وهو الحيض. فإذا تأخرت عند الذكر والأنثى العلامات الطبيعية المذكورة، فبلوغه يكون بالسن، وهو خمسة عشر عاماً. وبناء على هذا الشرط نقول: لا يطالب غير البالغ بالصيام وجوباً لأنه غير مكلف، وقد رفع القلم عنه، كما في الحديث الشريف: «رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم» (رواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والدارقطني عن علي وعمر) ورفع القلم هو: كناية عن سقوط التكليف، إذا علمنا أن الصيام لا يجب إلا على البالغين. ولكن السؤال الذي يطرح هنا هو: هل يترك الصبي والصبية ولا يطالبان بالصوم إلا بعد بلوغ سن التكليف؟ الجواب: طبعاً لا. لماذا؟ لأن تعاليم الشرع تأمر بتدريب هؤلاء الناشئة على أداء الفرائض ابتداءً من استكمال السابعة من العمر.

وفي هذا قال رسول الله ﷺ في شأن الصلاة: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع الحديث» (رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عمرو، وحسنه في صحيح الجامع -5868).

ذلك لأن الخير عادة، والشر عادة، والمرء يشيب على ما شب عليه، والتربية في الصغر كالنقش على الحجر.

وَيَنْشَأُ نَاشِئًا مِنَ الْفِتْيَانِ مِنَّا  
وَمَا دَانَ الْفَتَى بِحِجِّيْ وَلَكِنْ  
عَلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ أَبَوْهُ  
يُعَلِّمُهُ التَّدْيِيْنَ أَقْرَبُوهُ

وإذا كان الحديث الوارد في شأن الصلاة، فهو ينطبق على الصيام أيضاً بفارق واحد، وهو مراعاة القدرة البدنية للصبي والصبية، فقد يبلغ السابعة أو العاشرة ولكن جسمه ضعيف لا يحتمل الصيام، فيمهل حتى يشتد عوده ويقوى. وقد كان الصحابة يصومون صبيانهم وهم صغار تدريباً لهم على الطاعة.

عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت أُرْسِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قَرْيِ الْأَنْصَارِ: «مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا، فَلَيْتِمَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا، فَلْيَصُمْ». قَالَتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدَ، وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللَّعْبَةَ مِنَ الْعُهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ، أَعْطَيْنَاهُ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ (صحيح البخاري)

وليس من المطلوب أن يصوم الصبي الشهر مرة واحدة، فليس هذا بمقدور ولا منطقي، وإنما يصوم في أول سنة يومين أو ثلاثة مثلا، والتي بعدها يصوم أسبوعا ثم أسبوعين، حتى يمكنه بعد ذلك صوم الشهر كله بهذا التدرج. ومن الخطأ الذي يتحمل تبعته الآباء والأمهات إهمال الصغار حتى يبلغوا دون أن يدرّبوا على أداء الفرائض والطاعات، فإذا أمروا بها بعد البلوغ كانت أثقل من الجبال على كواهلهم.

وينفع الأدب الأولاد في صغر  
وليس ينفع عند الشيبة الأدب  
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت  
ولن تلين إذا قومتها الخشب

أيها الناس:

إن أولادنا هم ثمار أفئدتنا وقلوبنا، وزيينة حياتنا، قال تعالى:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف: 46)

الأولاد أيها الإخوة هم قرة الأعين، بهم تحلو الحياة، وببركة تربيتهم يستجلب الرزق، وتنزل الرحمة، ويضاعف الأجر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (أخرجه مسلم)

إخوة الإسلام:

الله تعالى خالق الكون يوصينا بأولادنا خيرا، قال تعالى:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ (النساء: 11)

إن هذه الآية وردت في موضوع الإرث ولكن القرآن أحيانا تكون له مناسبة خاصة ولكن معناه عام، الله سبحانه وتعالى خالق الكون يوصيك بأولادك، يوصيك أن تربيتهم، يوصيك أن تهديهم، أن تؤدّبهم، أن تعلمهم، أن تنشئهم، نشأة طاهرة، أن تراهم، أن تراقبهم، أن تأخذ بيدهم إلى الله عز وجل، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم: 6)

قوا أنفسكم: أي احفظوا أنفسكم وصونوا أزواجكم وأولادكم من نار حامية مستعرة، وذلك بترك المعاصي وفعل الطاعات، وبتأديبهم وتعليمهم. والتربية هي عملية بناء الطفل شيئا فشيئا إلى حد التمام والكمال. التربية أيها الناس هي عملية تشبه عمل الفلاح الذي يزيل الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته.

صحيح أيها الإخوة أن المهمة صعبة، لكن ما من عمل أعظم ولا أجدى ولا أدوم في حياة المؤمن من أن يرّبي أولاده، وحق الولد على والديه أن يربياه، قال ﷺ: «وَإِنْ لَوْلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» (أخرجه مسلم)

فاحذروا أيها الناس من التفريط في تربية الأبناء أو التخلي عن المسؤولية تجاههم، فهذه هي الخيانة وذلكم هو الغش الموصول إلى النار والعياذ بالله، أخرج البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً فَلَمْ يَحْطَهَا بِنَصِيحَةٍ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»

وحتى ينشأ الأبناء نشأة صالحة لابد من اتباع خطوات مهمة نصّ عليها القرآن وتكلم بها الرسول الكريم، ومضى عليها في حياته، وفعلها الأنبياء والصالحون من قبله.

من هذه الخطوات:

1- الدعاء للأولاد بالصّلاح والهداية والخير دائما وأبدا، فهذا هو الخليل إبراهيم عليه السلام يدعو فيقول:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: 35)

وقال أيضًا: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي﴾ (إبراهيم: 40)

واعلموا أيها الإخوة أن دعاء الوالد لولده من الدعاء المستجاب الذي يُرجى أن يتحقق بإذن الله عز وجل؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم»

فدعوة الوالد مستجابة، سواء دعا لأولاده أو دعا عليهم، لذلك نهي النبي ﷺ صراحة عن الدعاء على الأولاد، فقال: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»

وكم حصل من الخير للأولاد الذين فقه آباؤهم وأمهاتهم هذا الأمر العظيم الذي هو الدعاء، فكان ذلك سببا في صلاح دينهم وديناهم وآخرتهم.

2- من الخطوات التي ينبغي الحرص عليها في تربية الأولاد رحمتهم، وإبداء العطف والحنان تجاههم، وهذا من أهم الأمور التي يحتاجها الأولاد، فكم من فراغ عاطفي عاشه الأولاد سبب الكثير من المشكلات التي عجز الوالدان فيما بعد عن الوقوف أمامها، لقد كان النبي ﷺ المثل الأعلى في ذلك، وكان يحذر من القسوة في التعامل مع الأولاد، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبِلَ رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَلْتُ منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ»

3- من الخطوات المهمة في المجال التربوي للأبناء: العدل بينهم؛ لأن العدل يدفع الكثير من السلوك السيئ الذي يُخشى على الأولاد منه، فبسبب الظلم تنشأ الأخلاق السيئة وتنشأ التصرفات الغريبة، ولذلك كان حرص النبي ﷺ ملحوظا في التحذير من الظلم بين الأولاد، عن النعمان بن بشير قال: انْطَلَقَ بي أَبِي يَحْمِلُنِي إلى رسول الله ﷺ فَقَالَ: يا رسول الله، اشْهَدْ أَيْ قَدْ نَحَلْتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِي، فَقَالَ: «أَكَلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ النُّعْمَانَ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَأشْهَدْ عَلَيَّ هَذَا غَيْرِي، ثُمَّ قَالَ: «أَيْسُرُكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَلَا إِذَا» (مسلم عن النعمان بن بشير)

إن كلمة الإسلام واضحة في العدل بين الأبناء ذكورا وإناثا في كل شيء حتى في المعاملة والعطف، عن الحسن رضي الله عنه، بينما رسول الله ﷺ يحدث أصحابه، إذ جاء صبي حتى انتهى إلى أبيه في ناحية القوم فمسح رأسه وأقعده على فخذة اليمنى قال: فلبث قليلا فجاءت ابنة له حتى انتهت إليه فمسح رأسها وأقعدها في الأرض، فقال رسول الله ﷺ: «فهلأ على فخذك الأخرى»، فحملها على فخذة الأخرى، فقال ﷺ: «الآن عدلت»

وقد حثَّ الشرع على الإعتناء بالبنات خاصة بالإحسان إليهن، ووعده على ذلك الأجر العظيم، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جَدَّتِهِ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

فالتقليل من شأن البنات والتهوين بهن من أمور الجاهلية، وليس من الإسلام في شيء.

4- من الخطوات المهمة أيضًا في تربية الأولاد، القدوة الحسنة في الوالدين، فالولد يفتح عينيه على أبويه، ومنهما يأخذ طريقته في الحياة وأسلوبه في العيش، وعلى خطاهما يسير.

عن أبي هريرة، قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تَنْتَجُ الْبَيْهِيْمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (الروم: 30) (البخاري)

فأكثر ما يكون سببا في انحراف الأولاد هو انحراف الوالدين أو أحدهما، وفي المقابل تدبُّن الوالدين وحسن خلقهما سبب رئيس لصلاح الأولاد

وختاما أقول أيها الإخوة الكرام ينبغي أن نربي أبنائنا على الأخلاق والفضائل، حتى يستطيعوا أن ينفعوا أنفسهم ومجتمعهم